

تأليف

السيّد أبو القاسم الديباجي

إهداء

مؤسسة المرحوم محمد رفيع حسين معرفي الثقافية الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي خلقنا وكان عن خلقنا وعبادتنا له غنيا متعاليا، حمدا فوق كل حمد، وحمدا يقصر عنه كل حمد، الرؤوف الرحيم الذي خلق الانسان في احسن تقويم، وفضله على كثير مما خلق تفضيلا. والصلاة والتسليم على نبي الرحمة، وسبيل النجاة، النبي الأمي الذي جعله الله تعالى رحمة للعالمين، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين ا لمعصومين.

وبعد:

فان التأمل المتأني في آيات القران الكريم، والتدبر في مضامينها العظيمة الرائعة، يدل الانسان على عظمة الدور الذي اناطته به الارادة الالهية، وقرنت خلقه به.

فلقد كانت الأرض قاعا صفصفا عندما أعلن الله تعالى لملائكته المكرمين انه سيجعل له في الأرض خليفة، يمثل ارادته الالهية في ادارة شؤون هذه الأرض العظيمة والمترامية الاطراف والابعاد، حيث قال جل اسمه (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة) وكان هذا الخليفة هو الانسان، او ما نسميه بالمخلوق البشري. لما

كانت خلافة الله تعالى في الأرض تتطلب اعمار الأرض ونشر الخير فيها والعمل على بناء حياة رائعة يسودها العدل والمحبة والمؤاخاة، فلا بد ان تكون عملية التمثيل هذه شاقة وكبيرة تتطلب جهودا منظمة وفاعلة ومدركة .

ولعله مما لا شك فيه ان الله تعالى اودع في هذا الانسان الكثير من القدرات والامكانات العظيمة التي تؤهله للتصدي لهذا الدور العظيم، والمبادرة الى بناء الحياة الرائعة والسعيدة للبشرية جمعاء، وتوفير الأمن والاطمئنان للاجيال القادمة التي سترث من الاجيال السالفة كل ما خلفته لها من خير او شر من بناء او من خراب.

وقد يتساءل متسائل: لماذا يعيش الكثيرون على هامش هذه الحياة، لا اثر لهم يذكر في بناء هذه الحضارة البشرية، حين نجد ان البعض وعلى اقل تقدير تركوا وخلفوا لهم الكثير من الاثار والبصمات الخالدة التي ساهمت بشكل او بآخر في رفد حركة البناء المتلاحقة على هذه المعمورة؟

ولعل الجواب عن هذا التساؤل تتبين حقيقته من خلال المراجعة الفاحصة لتلك الفئة الاولى التي عجزت عن ادراك عظمة القدرات التي اودعها الله تعالى فيهمِ، خلاف الجماعة الثانية، بل وعمدوا بشكل او باخر الى قتل هذه الملكات العظيمة في نفوسهم وضمن المحيط

الذي يتعاملون فيه، فأصبحوا اشـبه بالـركام المهمل، لا اثر ايجابي لهم في بنـاء حياتهم الخاصة بهم، ناهيك عن المسـاهمة مع الاخرين في رفد الجهد البشري العام.

واذا كان هذا الانسان المؤمن ومن خلال نظرته المتأملة هذه قد تبين شـيئا مذهلا وعجيبـا عن عظمة هذا الكون ونظامـه المعقد والدقيق، والـذي يـدل بوضوح جـلي لايقبل الشـك على وجود خالـق عظيم، ورب قـادر مقتـدر، واله واحـد تدل عليـه وحدة الخلق هـذه، خلق كل مـا في الكون لامر ارادة لا لعبثية ولا للهو قطعا: آية ١١٥ سـورة المؤمنون (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ).

نقـول ان هـذا التأمـل لا بـد ان يدفـع العقـلاء الى ادراك الحقيقة التـي ينبغي ان لا يغفل عنها احد من النـاس من حتمية وجود الدور والفاعلية لهذا الانسان العاقل في هذا الكون، لا سيما اذا ادركنا ان الله تبارك وتعالى قد سخر لخدمة هذا الانسان في اطار ادائه لدوره في هذه الحياة الكثير الكثير من مخلوقاته جل وعلا.

قال سبحانه: (وَسَـخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُـمُ الأَنْهَارَ وَسَـخَّر لَكُمُ الشَّـمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَـخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا) ابراهيـم: ٣٢- ٣٤. وقـال جل اسـمه: (وَسَـخَّرَ لَكُمُ اللَّيْـلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّـمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَـخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ) النحل: ١٢.

بل وقال جل اسمه: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) الجاثية: ١٣.

اذن فالانسان هذا المخلوق الذي اودع الله تبارك وتعالى فيه الكثير من القدرات الذاتية، والامكانات المادية، وسخر لخدمته كثيرا من مخلوقاته التي تتواضع قدرات الانسان المادية قبالة قدرات تلك المخلوقات، لا بد ان يكون ممتلكا لقوة وقدرة متميزة فيه تمكنه من الاستفادة من جميع هذه الامكانيات المسخرة لخدمته في اداء دوره الحساس والمهم ككونه خليفة لله تعالى في ارضه، وهو دور عظيم بلا شك لان الله عز وجل جعل جائزته النعيم الابدي، والسعادة الازلية، في جنات الخلود.

وهكذا فان هذا الامر يدفعنا للتساؤل عن تلك القدرة العجيبة التي اودعها الله تبارك وتعالى في هذا الانسان، ومكنته بالتالي من الاستفادة من جميع تلك القدرات الاخرى التي يستحيل عليه دون هذا القدرة المخلوقة فيه ان يتعامل معها بالشكل العلمي السليم... نعم ان تلك القدرة الرهيبة والعظيمة الابعاد هي العقل الذي خلقه الله تبارك وتعالى وخاطبه بقوله: وعزتي وجلالي، ما خلقت خلقا احب الي منك، بك اثيب، وبك اعاقب.

بلى ان اعظم قدرات الانسان تكمن في عقله، والذي يعتبر هو

الموجه لافعال وسـلوكيات الانسـان، بل ولجميع جوارحه، ومن هنا فـان اي قصـور او خلل يصيب هذا الجهاز العظيم ينعكس انعكاسـا مباشرا عـلى طبيعة النظام الحيوي لباقي الاعضاء والجوارح الاخرى، فتنقلـت بالتـالي من الاسـتخدام الامثل لهـا والاصح نحـو العبثية وا لفوضوية، والتردي والانحطاط.

ولا يخفى على القارىء الكريم ان هذا الجهاز العظيم الذي يمكننا التعـرض الى ايضاح بعـض ابعاده من خلال التعرف المـار والعابر لما يسـمى بالجهاز العصبي للانسـان، والذي ورغم ما وصل اليه التقدم العلمي والتقني في عصرنا هذا من القدرات الرهيبة في ايجاد وصناعة ما يسـمى بالانظمـة الالكترونية المعقدة والتي تذهـل العالم بما تقدمه من خدمات وتسهيلات في بناء الحضارة البشرية، ودفع عجلة التطور المـادي خطوات سريعة ومتباعدة نحـو تحقيق الرفاهية التي تطمح لها النفـوس البشرية، بـلى فبالرغم ما نراه من هذا التطـور العظيم الا ان هـذه الظاهـرة لا تشـكل في حقيقة الحال الا نسـخة مبسـطة وصورة محـدودة ومتواضعـة عن ما اشرنـا اليه سـابقا، وهو الجهـاز العصبي للانسان، والذي اودعه الله تبارك وتعالى عند الانسان ليؤدي دوره في بناء الحضارة البشرية العادلة والرحيمة، والقائمة على اسـس سـماوية متكاملة، تتواتر في نقلها لنا الانبياء عليس طوال الدهور والعصور.

اقـول: ان الجهـاز العصبـي للانسـان يتلخّص بما تحتويـه جمجمة

الإنسان مما يسمى بالدماغ والمتكون من: المخ، والمخيخ، والبصلة السيسائية.

هذا يشكل الجزء الاول للجهاز العصبي، حين يمثل النخاع الشوكي الذي يحويه العمود الفقري الجزء الثاني له.

وعن هذين الجزئين اللذين يسميان او يشكلان الجهاز العصبي المركزي تتفرع الاعصاب التي يتفرع عملها بين تلقي الاثارات والاحاسيس ونقلها عبر الجسم، وهي ما تعرف بالجهاز العصبي السطحي، وبين تنظيم عمل الاعضاء بوساطة العقد السمبثاوية، وهي ما تعرف بالجهاز العصبي النباتي.

اذن فان هناك ثلاثة اطراف يتمحور فيها الجهاز العصبي للانسان، وتشكل بنياته الاساسية، الا ان عمل هذه البنيات يرتكز على طبيعة الوحدة النوعية المساة بالخلية العصبية، التي تحتوي على نواة كبيرة تتولد فيها الموجات العصبية التي تتولى نقل جميع التعليمات والاوامر عبر انحاء الجسم المنعكسة بالاعمال والنشاطات التي يؤديها الجسم البشري.

ولا يعني هذا ان الخلية العصبية تؤدي جميع هذه الاعمال بمفردها، بل ومن خلال التنظيم الرائع والدقيق، والتنسيق المعقد بينها وبين سائر خلايا الجهاز العصبي التي تشكل فيما بينها شبكة متراصة ومتداخلة وشديدة التعقيد، وحيث يحصل هذا الترابط غالبا بين اجسام هذه

الخلايا بواسطة الزوائد المتشجرة والمحاور العصبية، او أجسام هذه الخلايا في بعض الاحيان، هو ما يسمى بالتشابك العصبي.

ولا اريد هنا التعرض الى عمل هذه الخلية، وتركيبها قد ما اردت الاشارة اليه من دقة الجهاز العصبي للانسان، ونظامه العجيب المعقد، وقدراته العظيمة، وامكانياته الواسعة، والتي قد يفرط فيها البعض تفريطا يؤدي الى اهمالها ودفعها الى حالة الجمود او الموت، دون ادنى التفات او تبصر بما يترتب على هذه الافعال من نتائج خطيرة ومؤلمة.

نعم ان ظاهرة اللجوء الى المخدرات، والادمان عليها تشكل الحالة الاوضح والاشمل في مشكلة تدمير العقل البشري، ودفعة قسرا إلى التردي والانحطاط، ونزع الانسان في موقعه الريادي والبارز في ادارة هذه الحياة وبنائها، وحشره بشكل واضح في قائمة المهملات والعبثيات، وشتان بين الحالتن.

نظرة تأملية

هل تأملت أخي القاريء الكريم في ما يحيطك من وقائع وأحداث، تشكل في مضامينها ظاهرة محددة ومعروفة تسمى بالتكرار؟

وهل تأملت في حقيقة هذه الامور وابعادها، ثم هل نظرت في ما تشكله هذه الظاهرة من نتائج سلبية وايجابية تترك اثارها البينة على

مجمل مناحِي الحياة المختلفة؟

لابد انك قد لاحظت ذلك بوضوح، وتبينت ما تعنيه هذه المظاهر، بل وما تشكله نتائجها من اثار مختلفة ببعديها السلبي والايجابي.

هذه الفصول الاربعة التي تمر علينا كل عام بشكل متناوب ومتكرر، لابدانك لاحظت ما يشكل تناوبها وتعاقبها وتكرارها في كل عام، منذ خلق الله تبارك وتعالى الأرض ومن عليها.

بل وهل نظرت الى تعاقب الليل والنهار، وشروق الشمس، وطلوع القمر، الذي امسى حالة مكررة لا تستدعي اثارة اي انتباه او استغراب لتآلف الناس مع حدوثها الثابت والمتكرر؟

ثم هل نظرت الى حياتك الخاصة، وتاملت في دقائقها ومفرداتها الكثيرة، وشاهدت عيانا المئات بل الالاف من حالات التكرار المتناوب التي تصطبغ بهاحياتك وحياتنا وحياة الآخرين، وميزت بين ابعاد العديد من هذه المفردات بين ا لسلب والايجاب؟

ان كل المفردات الكونية صغيرها وكبيرها تخضع لقانون التكرار والتعاقب، وهي سمة عادية وثابتة، لا غرابة فيها، ولا يمكننا ان نحكم بانفراد وتفرد شيء دون وجود مرادف له، او معقب له الا الذات الالهية المقدسة والمباركة، فهي وحدها واحدة ثابتة، لا تقبل التكرار، ولا التثنية نعم كل هذه الحالات التي ذكرناها سابقا، والتي لم نذكرها، نجد بوضوح اثارها تكرارها الايجابية في الحياة بصورة

عامـة، على النقيض مـن بعض الحالات التي تشـكل ظاهـرة المناوبة عليها، والمداومة على تكرارها حالة سلبية، وظاهرة مرفوضة، اعتبارا لمـا تفـرزه افعالها مـن نتائج ضارة وسـيئة، سـواءعلى نطـاق الفرد او المجموع.

وإذا كنـا هنـا في معـرض الحديـث عـن ظاهـرة الادمـان عـلى المخدرات، وآثارها السلبية على حياة البشر، دون استثناء فانا نعرض عـن التعـرض الى غيرها من الحـالات الاخرى، عسـى أن نتناولها في أبحاثنا السابقة، ان شاء الله تعالى.

المخدرات والادمان

رغـم اننا ندرك بـان المخدرات لم تكن وليـدة عصرنا الحاضر، بل تتجاوزه الى دهـور ماضية وغابرة، اتخذت فيها المخدرات مسـميات عـدة، وأشـكال مختلفة، وخضعت مع ذلك الى اسـتخدامات شـتى، تتفـاوت بـين السـلب والايجاب، كحالهـا في عصرنا الحـاضر، الا ان شيوع استخدامها، بالشكل الذي نراه الان، وخضوع مسألة انتاجها، واسـتخدامها، وتداولهـا لعوامل التقنية في زمننا هـذا، جعل من هذه المادة سلاحا فتاكا وقاتلا، اخذ ينهش بضراوة مقلقة لا تحتمل في بنية المجاعـات البشرية، ويحيلهـا الى ركام مهمل، وحثالة ضئيلة لا يمكن تجاهلها لارتباطها الوثيق بما نشهده من حالات تمزق هذه المجتمعات

وشيوع مظاهر الانحراف والانحطاط التي لا تتفق مع الروح الانسانية العظيمة التي اودعها الله تبارك اسمه في مخلوقاته البشرية.

حقا ان هناك انواعا من المخدرات تستخدم بشكل علمي من قبل الاخصائيين والاطباء في اجراء العمليات الجراحية المتعددة، بل لا يمكن من دونها انقاذ حياة الكثير من البشر، لكن انفلات حدود تواجدها، وتسرب اعيانها، وسوء استعمالها من قبل الجهلة والسذج، غير المقدرين حقا لعظم خطرها، وفداحت استخدامها بشكل غير شرعي وعلاجي يخضع لاشراف الاخصائيين، وكنتيجة لمحاولة جملة من الرموز الجشعة اللاهثة خلف بريق الثروة والمال، اخذت هذه المادة الخطرة والقاتلة تخرج شيئا فشيئا من استخدامها العملي والطبي السليم لتصبح- وخارج حدود القانون- بمتناول العديد من الشرائح الاجتماعية التي وان اختلف مستوياتها الطبقية الا انها تتفق في حالة العجز النفسي المصطنع، والجمود الفكري الواضح.

ان المرء عند معاينته لما يصادفه او يقرأه من حالات عديدة اخذت تطفح على سطح الاحداث في مجتمعاتنا الاسلامية لا بد وان ينتابه الاسى والحزن، بل وان يتقطع قلبه حسرة على انسلاخ هذه المجاميع العديدة من جسد الامة، وترديها في هاوية الادمان السحيقة التي تمزق اشلاء واجساد ضحاياها دون رحمة او شفقة.

ان تجار المخدرات، وسماسرته، وان كان مبتغاهم الاول هو

الحصـول عـلى الامـوال الطائلـة، والثـروات الكبـيرة، ودون اي مقيـاس بـشري او انسـاني، بـل ودون ادنى تأمـل لما يمكن ان تسـببه تجارتهـم القـذرة هـذه مـن اضرار فادحـة ورهيبـة في صفـوف ابنـاء المجتمـع البـشري، الا ان هنـاك جملـة اخـرى مـن الاهـداف الخبيثة التي يسـعى العديد منهم لهـا من خلال ارتباطاتهم المشـبوهة بالمراكز المخابراتيـة المختلفـة، والدوائر الاسـتعمارية المتعددة، والتي تسـعى لان تجعـل من المجتمعات التي تعمل على نشر المخدرات بين شـبابها عديمة المبادىء والقيم، سلسـة القياد والانقياد، مسـتجيبة ودون اي معارضـة لكل ما يملي عليها ويفـرض، حتى وان كان في ذلك اذلالا لهـا، واهانـة لمعتقداتهـا، لان حالـة الادمان على المخـدرات تجعل من تلـك المجتمعات المنهـارة ضعيفة الارادة، مشوشـة الافكار، محدودة الطمـوح، والـذي قـد لا يتجـاوز في اغلـب الاحيان مجـرد الحصول على جرعة من تلك السـموم، حتى وان ذهبت القيم والمبادىء والمثل والاعراض الى الجحيم، فماذا بعد ذلك الا الانحطاط العظيم؟

نحن نعيش في هذه الأرض الطيبة التي منَّ الله تعالى عليها بالثروة والمال العميم، بعد ان منّ عليها بما هو اعظم من ذلك واكبر، الا وهو هذا الدين الاسـلامي العظيـم الذي نتلمس الخـير في ضلاله الوارفه الطيبـة، بل وانك يا اخـي القارىء الكريم لا بـد وان تتأمل بوضوح عظيـم هـذه النعمة الكبيرة التـي نعيش في كنفها حين نـرى ان الكثير

الكثير مـن ابناء هذه المعمـورة يتمنون لو ينعمون بشيء يسـير من هذه النعـم التـي تترادف علينا بفضـل الله تبارك وتعـالى، ولا بد ان تكون اخـي القاريء الكريـم تدرك قبل غيرك هـذه الحقيقة بوضوح ودون لبس.

نعـم، ولكـن المؤلم ان تجد ان هـذه الثروات الطائلـة التي انعم الله تعـالى علينـا بها تنفق من قبـل البعض لا في البناء والاعـمار، والتعليم والتدريـس، بل في افضـع ما يمكن لعاقل ان يقدم عليه، وهو افسـاد المجتمـع، وتمزيقـه، وبعثرة قـواه وقدراته، وتحويله من قـوة فاعلة الى ركام مهمـل، بـل ومن مخلوقات عاقلة مبدعـة الى موجودات تعتاش بعسر ومشـقة على هامش الحياة المليء بالحركة والنشـاط والابداع... فلماذا؟

الادمان وآثاره

اذا اردنـا ان نتعـرض لايضـاح الاثـار المترتبـة على مسـألة ادمان تعاطـي المخـدرات، فـان هـذه العملية بلا شـك تتطلب منا دراسـة شاملة لكل الابعاد الحياتية للفرد المدمن، سواء ما يتعلق منها بتعامله مع اسرته، ومع نفسـه، ومع الوقت، ومع محيـط عمله، ومع مجتمعه، وغير ذلك، ومن ثم عقد مقارنة بسـيطة مع كيفية تعامل الاصحاء مع هذه الابعاد لتتبين حالة التردي التي اوقع المدمن بها نفسـه، مع سـبق

الاصرار والتحدي.

ثـم فـان الاصحاء من النـاس قديتصـورون ان في حالـة المدمنين هـذه، والتي قد تشـكل بمجموعها مظهرا مقززا ومثيرا للاشـمئزاز، الكثـير مـن المبالغـة والتهويـل الخارجين عن حـدود الحالـة المرضية الحقيقيـة لهـؤلاء الناس الذين يثيرون الاسـى في قلـوب المحبين لهم، والحريصـين على حياتهم... نعم قد يتصور البعض ذلك، ولكن تلك حقيقة الحال، بل واسـوأ واسوأ... وهو ما تتبين صورته عند التعامل المباشر مع أولئك المدمنين.

المدمن والاسرة

تشـكل الاسرة الخلية الاولى والاساسـية في بناء المجتمع البشري، ولها اعظم الدور في رفد المحيط الخارجي بالطاقات الخيرة والمخلصة، وعلى العكس من ذلك.

ولـذا فنحـن نرى ان الاسـلام قـد اولى اهميـة عظيمة لمسـألة بناء الاسرة المسـلمة وفق الضوابط الاخلاقية والتربوية المعروفة، ورسـم لهـا الحـدود والابعاد وبـين مسـؤولية كل طرف من اطـراف الاسرة في عملية البناء هذه، واشـار بوضوح لا يقبل الشـك الى ان تقصيركل طرف في اداء دوره المناط به يشكل خللا واضحا، وارتباكا بيّنا في هذا البنيان العظيم والشامل.

ولما كانت تترتب على رب الاسرة في ادارته لشـؤونها جملة متعددة مـن الواجبـات المهمة والحساسـة، كتربية الابنـاء وتعليمهم، وتحمل مسـؤولية كسـوتهم وطعامهـم أو شرابهـم، والسـهر عـلى راحتهـم، وتوجيـه دفـة الأسرة نحـو بر الامـان، ومرفأ الاسـتقرار، فـان ذلك يعني ان هذه المسـؤولية تتطلـب جهدا مخلصا، واسـتعدادا مضاعفا، وروحية قادرة على تحمل المسؤوليات، وحيث تتعاظم هذه المسؤولية بلا شـك مع تقعد ظروف الحياة، وازدياد عدد أفراد الأسرة، وتوسع مشـاربهم وامزجتهـم، ومـن هنا فانـك تجد الأب المخلـص والمحب لعائلته كثير الحرص على توفير أفضل سـبل المعيشـة لهـا، ورفع حالة العـوز والفقر والحاجة التي نرى ان الكثير مـن العوائل الفقيرة تعاني منهـا، مع حرص ذلـك الأب على رفد مجتمعه الذي يعيش فيه، ودينه الـذي ينتمي إليه، برجال صالحين يكونون قادة في المسـتقبل، يتشرف بهم الكثيرون، ونسـاء صالحات يتحملن مع الرجال شـطرا كبيرا من المسـؤوليات المختلفـة والمتعـددة، والتـي أهمهـا تربية النشـأ الصالح والطاهر.

نعـم، ان كل هـذه المسـؤوليات المهمـة يدركها بـلا ريب كل رب أسرة عاقـل أهـل لتحمل المسـؤولية، ولقـد شـاهدت وتعرفت على الكثيريـن مـن الآباء الذين قدمـوا لأسرهم الكثير الكثـير من العطاء والخدمـات التي مكنتهم مـن العيش بعز وكرامـة، مرفوعي الرأس،

مصـوني الجانـب، ففـازوا بحـب ابنائهم وأهليهـم، وحضـوا بالثناء والكرامـة في الداريـن، في الدنيا والاخرة. ولكن عـلى الطرف الآخر مـن الأمـر تجـد شريحة مـن الآبـاء قـد اسـاؤوا إلى أنفسـهم وأبنائهم وزوجاتهـم وأسرهـم، وحيـث لم تجـن منهـم عوائلهـم إلا الحنظـل والمرار، والذل والانكسـار، والفقر والاعـواز، كنتيجة لادمانهم على تعاطي المخدرات، وخضوعهم الذليل لها.

والحـق يقـال: ان عوائـل المدمنين على المخدرات تعـاني من حرج شـديد، وضيـق كثـير، وعسر واضـح في التعامـل معهـم قـد تدفـع بالكثيريـن منهـم الى تجـاوز هـذه العلقة المقدسـة بين الإثنـن لفداحة الخطب المترتب على الادمان. فرب الأسرة اذا وقع في شـباك الادمان على المخدرات يجد ان مَا يربطه باسرته هواوهي واضعف من علاقته بالمخدرات، وانه على اسـتعداد لان يفـرط باسرته قبالة الحصول على جرعات من هذا السم الزعاف.

بل وكم رأينا من الاباء- وذلك مما تتفطر له القلوب- يندفعون الى بيع مستلزمات اسرهم من الحلي والاثاث وغيرها، وبأبخس الاثمان، من اجل جرعة واحدة من المخدرات، تاركين عوائلهم تندب حظهم الاسود، ومصيرهم المشؤوم، فمن المسؤول عن ذلك...؟

ثـم هل ينتهي بـه الى هذا الحد من الـتردي والانحطاط، ويرعوي ويثـوب الى جـادة الصواب، كلا والـف كلا... بل تراه يسترسـل في

افعالـه المنكرة حتـى يؤدي به الحال الى افعال وتصرفات تشـمئز منها النفوس، وتتقزز منها الاحاسيس.

هـذا الامريقـع بعد ان يكـون رب الاسرة هـذا قد فـرط في تربية وتوجيـه أبنائـه، واهمـل متابعـة كل شـؤونهم واحتياجاتهـم، ولم يعد يشـعر باي نوع من المسـؤولية تجاه من يعيش معه، وتتعلق مسـؤولية رعايته به.

فالمدمـن عـلى المخـدرات لا يشـعر بتلـك اللـذة التـي يشـعر بها الابـاء الباقـين في مناغاتهـم لابنائهـم، ولا بواجب تربيتهم، وحسـن توجيههم، لان الذي يهمه بالاساس هو الحصول على جرع المخدر لا غـير، فتصور حال الاسر المبتلاة بمثل هؤلاء الابـاء، بل وتأمل تربية ابنائهم، ليزداد عجبك من الابناء الذين ينشـأون نشـأة صالحة في هذا الجو الموبوء...

المدمن والوقت

ماذا يشـكل الزمن بالنسـبة الى المدمـن، وهـل يتعامـل معه كـانه حـالـة عابـرة ينبغي ان تسـتثمر بشـكل علمي رصين لانهـا لا تتكرر ابدا، وان ما مضى من الوقت والزمن دون اسـتثمار سـليم، واستغلال صحيـح يعني هدرا وتضييعا يلام المرء عليـه، وينحى عليه باللائمة، لانـه كما قيـل كالسـيف ان لم تقطعه قطعـك... ام كيف تـراه يتعامل

معه؟

لـو توجهنا بسـؤالنا هـذا الى احـد المدمنـين، وطلبنا منـه الاجابة الصادقـة عن هذا السـؤال لـكان جوابه: ان الوقت بنظـره لا يتجاوز الا حالتين:

الحالة الاولى هي الوقت الذي يسبق حصوله على المخدرات، وما تشـكله من معاناة نفسـية، وقلق عظيم مصـدره الخوف من الاخفاق في الحصـول عـلى المخـدرات، وتجنيـد كل طاقاتـه في تحـاشي ذلـك الاخفـاق، ومـا يترتب بالتـالي على ذلك من وسـائل غريبـة ومعقدة تشـير الاسـتهجان في النفـس، يلجأ اليها هـذا المدمن، لو قـدر له ان يتأملهـا دون حالتـه التي يعيشـها لتصبب جبينه عرقـا خجلا وحياء منهـا، ولكنـه هنا يجـد لها في نفسـه المتهالكة الف عـذر وعذر، والف تبرير وتبرير.

وأما الحالة الثانية فهي الفترة الزمنية التي تلي مسـألة الحصول على المخـدرات وتعاطيها، فان حالـة الشرود والذهول هي السـائدة على ذلـك المدمن، فلا صلة تربطه بالواقع الذي يعيش فيه، ويتعامل معه، بـل هو يعيش سـابحا في عالم الاوهـام المصطنع بعيـدا عن كل شيء، ومقطوعا عن كل شيء.

اذن فليسـت هناك ادنى اهمية للوقت في نظر المدمن، على النقيض مـن الاصحاء من الناس والعقلاء، حيث ترى ان للوقت عندهم من

الاهميـة القصوى التي ينبغي ان تستثمربشـكل سـليم وعلمي، وهو مـا نـرى نتائجـه الان على كثيرمـن المسـتويات العلميـة والحضارية، ولـو كان مفهـوم الوقت عنـد اولئك المبدعين والعاملـين كما هو عند هؤلاء المدمنين لبقي الناس يعيشون في العراء وفي الكهوف، ولازالوا ينتقلـون مـن بلـد الى اخـر وهم يمتطـون الحمـير والبغـال والجمال، ويشربون من البرك الاسنة، ويعيشون في ظلمة الفوانيس والمشاعل.

ان للوقت اهمية عظيمة يجب ان تسـتثمر وكل من سـعى الى انجاز عمـل مخضـا اياه الى عامل الوقـت فان النجاح لا بـد ان يكون حليفه باذن الله تعالى... الا ترى ان الله تبارك وتعالى قادر على فعل كل شيء بامر واحد، لانه اذا اراد شيئا سبحانه فان امره له: كن، فيكون، ولكنه جل اسـمه اراد ان يعلم الانسـان قيمة الوقت، فتراه يخلق السـموات والارض في ستة ايام، حين كان امرة (كن) كافيا لان (تكون)، ولكنه درس عظيـم لبنـي آدم... وهكـذا تـرى ان المدمـن عـلى المخـدرات تتضـاءل نظرتـه الى الزمـن بابعاده المختلفـة من السـاعات، والايام، والاسـابيع، والاشهر، والسنين، والفصول، والليل والنهار، لتتحول إلى ظروف لهاثٍ وجريانٍ وبحث عن المخدرات وتعاطيها، ليس الا، واما ما عداها فلا تشكل في نظرة قدر قلامة اظفر، فتأمل...

المدمن والمجتمع

لما كانت علاقة الانسان المدمن على المخدرات مع اسرته، ومجتمعه الصغير الذي يعيش فيه مهزوزة وسلبية الى هذا الحد، فان علاقته مع افراد محيطه الاكبر، او ما نسميه بالمجتمع تكون بلا شك اشد سوءً اوضح انقطاعا، وحيث لا يجد هذا المدمن من في تصوره المريض اي ضرورة لاقامة علاقات طيبة ومتواصلة مع افراد هذا المجتمع، لانه يميل بطبعه الى الانزواء والانكفاء والعزلة، حيث تفرض عليه هذا الامر حالته النفسية المتعبة والهشة، وغير القادرة على تحمل المسؤولية.

ان ادمان المخدرات، وخلق حالة الاسترخاء والاستقرار الكاذب في مخيلة المدمن، مرة بعد اخرى، تقلل من الاستعداد النفسي له في مواجهة الحياة ومشاكلها المتعددة، فيحاول ان يهرب منها بشتى الصور والاساليب، فيغدوبمرورالايام عنصرا سالبا في المجتمع، بل وقمامة ملقاة على قارعة الطريق.

المدمن ومحيط العمل

لعله من البديهي القول بان الادمان على تعاطي المخدرات له الكثير من الاثار الجسدية والنفسية الخطرة، والتي لا يمكن لمدمن المخدرات النجاة منها، والتخلص من نتائجها المؤكدة.

فاذا ذكرنا في حديثنا السابق الآثار النفسية لتعاطي المخدرات،

وما تشكله من تمزيق لشخصية المدمن واضعافٍ لها، فان الاثر الثاني هو اكثر وضوحا وبيانا من الدلالة عليه والاشارة اليه.

فهل تأملت في احد مدمني المخدرات ورأيت الوهن والضعف الذي ينتابُهُ بشكل واضح، بل واثار الانهاك التي تبدو عليه بعد ادنى جهد يبذله في انجاز اي عمل كان... ان هذه الحقيقة واضحة وجلية، ومؤثرة من قبل الجميع دون استثناء وترديد، ولذا فانك ترى الاوساط التي يعمل بها مدمني المخدرات لا تتردد في طرد المدمن من عمله، والاستغناء عن خدماته، رغم كل ما كان يحويه ويمثله من مظاهر طيبة ومتفانية قبل سقوط في هذه الهوة السحيقة التي لا ترحم احدا.

بلى ان اصحاب العمل لديهم الكثير من الأسباب والمبررات السليمة والمنطقية التي تدفعهم للاستغناء عن المدمنين، لعل اوضحها سوء اخلاق وتعامل المدمن مع زملاء العمل، بل وعدم دقته في انجاز عمله، حيث تجد بوضوح كثرة الاخطاء الفادحة التي يقع فيها المدمن رغم محاولته توخي الدقة في انجازها، لان الامر خارج عن قدراته الآنية التي مزقها بادمانه على المخدرات، يضاف الى ذلك حالة اللا ابالية التي تكتنف المدمن قبالة ما يحيطه، وما يتعامل معه، فيؤدي به الامر الى جملة واسعة من السلبيات التي لا بد ان تكون نتيجتها ترك العمل، والانكفاء في احد الزوايا المهملة، والمنسية...

همسة في آذان المدمنين

واخـيرا ونحـن نطوي صفحـات حديثنا هذه، لا بـد لنا من وقفة صريحـة مع افـراد تلك المجاميـع المبتلاة بهـذا الداء الوبيـل والفتاك، ولا ريـب فيـه ان منهم من هم اعزاء علينا، تربطنـا بهم علاقات الود والاحـترام والمحبة، بـل ومنهم بمن يمـت الينا بصلـة القربى والتي اوصها الله تعالى بعدم قطعها، وحث جل جلاله على تمتينها وتقويتها، بـل ومنهـم من لا نعرفهم قطعا، ولكن لعـل الله تبارك وتعالى يوصل هذه الهمسة الصادقة الى اذانهم فتجد لها صدى وقبول.

انا عندمـا نتحدث عن اعراض الادمـان وويلاته، ونحذر الناس مـن الوقوع في شـباكه، ونبين لهم جملة الآثار السـيئة المتولدة منه، فانا في نفس الوقت نشـعر بالحزن والاسـى والشـفقة لاولئك المبتلين به، محاولين قدر الامكان مد يد العون لهم بغية انتشـالهم من هذه الوهدة الظالمـة، والمحنـة القاسـية، مبينين لهـم ان الامـر برمته متعلـق بارادة المدمـن، وشـجاعته التي تدفعه لاتخـاذ القرار التي ينقـذه من التردي اكثـر في هذه البرك الآَسـنة، والحفر المعتمـة، وان الجميع وان لا يألوا جهدا في تقديـم كل الامكانيات المتوفرة، والجهوز المخلصة، والنوايا الصادقة، فان كل ذلك لا يشـكل شـيئا يذكر قياسـا بالقرار الشـجاع الـذي يتخذه المدمن بالاقـلاع عن تعاطي المخـدرات، وتجاوز الحالة المأسـاوية التي اوقع نفسـه فيها، واقحم الاخرين فيهـا ايضا، ومنهم

اهلـه واصدقائه وزملائه، وحتى اجهزة الدولة المختلفة التي امسـت تـولي جانبـا مهما مـن اهتماماتهـا- التـي ينبغي ان تـصرف في مجالات اخـرى لترفيـه مواطنيها- في متابعـة وملاحظة هـذه القضية الخطيرة التـي اخـذت تنخر جانبـا لا غنى عنه مـن الطاقات الشـابة التي هي عماد كل وطن.

بـلى، فهـل تأملـت هنيهـة اخـي المدمن الى مسـير الحيـاة حولك، وعاينـت بوضـوح كيف يندفع الاخـرون في مجالات الحيـاة المختلفة بشـجاعة واقـدام، تاركـين بصماتهـم الخـيرة في كل مـكان، وعلى كل مـكان، حين ينزوي انت متهالكا ضعيفـا، تزداد ضعفا يوما بعد يوم، وسـاعة بعد سـاعة، حتى تتحول الى ركام مهمل، ووجود سـالب لا جدوى فيه؟

لا ريـب انك فكرت في ذلك كثيرا وكثـيرا، وتأملت فيما تنفقه من امـوال طائلـة في الحصول عـلى هذه السـم الزعاق، بخوف وخشـية مـن ان تطالـك يـد القانون ورقابـة المجتمـع... بل ولا بـد ان تكون قـد شـعرت بالخجل اكثرمن مـرة وانت تمارس هوايتـك القاتلة هذه كاللصوص في العتمة والزوايا المظلمة والموبوءة... فلماذا؟

ان مسـافة الالـف ميـل تبتـدأ بخطـوة، فتعـال وحـاول أن تخطو خطوتك الأولى، وسـتجد الجميع دون اسـتثناء يمدون اليك ايديهم، وتحتضنـك عيونهم وقلوبهم، وسـتلقى كل رعاية واهتمام، وكل ذلك

من أجلك ولك، وهو أوضح مقياس على حرص الجميع على كل فرد مـن أفراد المجتمع، الا أولئك التجار الفاسـدين الذين لا تهمهم أنت ولا غيرك وان تحولتم إلى جثث متعفنة طالما تمتلىء جيوبهم وخزائنهم بالمال والجواهر.

انهـا والله همسـة صادقة عسـى أن تجد لهـا في الآذان صـدى، والله الموفق للصواب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٢٦

خطر الأفيون

مؤلفات السيّد الدّيباجيّ الالكترونية

١ - سيماء الأولياء وكراماتهم (ج٢)
٢ - حقوق الإنسان في الإسلام
٣ - حقوق المرأة في الإسلام
٤ - السيدة خديجةعليها السلام: مقاومة، إيثار، أسطورة
٥ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج١)
٦ - نفحات الرحمن في منازل العرفان (ج٢)
٧ - القصص القرآنية (ج١)
٨ - القصص القرآنية (ج٢)
٩ - القصص القرآنية (ج٣)
١٠ - القصص القرآنية (ج٤)
١١ - القصص القرآنية (ج٥)
١٢ - التوحيد، دراسة معاصرة، الحلقة الأولى من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٣ - النبوة، دراسة معاصرة، الحلقة الثانية من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٤ - العدل، دراسة معاصرة، الحلقة الثالثة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٥ - الإمامة، دراسة معاصرة، الحلقة الرابعة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٦ - المعاد يوم القيامة، دراسة معاصرة، الحلقة الخامسة من سلسلة دراسات في أصول الدين
١٧ - منتقى الدرر في سيرة المعصومين الأربعة عشرعليهم السلام (ج١)
١٨ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشرعليهم السلام (ج٢)
١٩ - منتقى الدرر سيرة المعصومين الأربعة عشرعليهم السلام (ج٣)
٢٠ - الفتنة العظمى، سلسلة دراسات تأريخية
٢١ - مظاهر الفرقة بين المسلمين وعلاجها
٢٢ - الإمام المهديعليه السلام: الحقيقة المنتظرة
٢٣ - حوار حول الإمام المهدي (عج)
٢٤ - العباس بن عليعليه السلام بطل النهضة الحسينية
٢٥ - زينب الكبرىعليها السلام: بطلة الحرية
٢٦ - الحج: أحكاماً وفلسفة ودعاء
٢٧ - أجوبتنا على مسائلكم الدينية
٢٨ - رسالة عقائدية (ردّ على كتاب الشيعة والتصحيح للدكتور الموسوي)
٢٩ - الروضة المنتخبة
٣٠ - أجود المناظرات (تحت إشراف المؤلف)
٣١ - القصص الهادفة من سيرة المعصومين الأربعة عشر
٣٢ - أنصار الإمام الحسينعليه السلام
٣٣ - فضائل ومناقب عليعليه السلام وفاطمةعليها السلام في مسانيد أهل السنة (ج١)
٣٤ - فضائل ومناقب عليعليه السلام وفاطمةعليها السلام في مسانيد أهل السنة (ج٢)
٣٥ - قصص المثنوي
٣٦ - خطر الأفيون
٣٧ - زيارة الإمام الرضا سلام الله عليه